تاريخ ظهور الإسلام

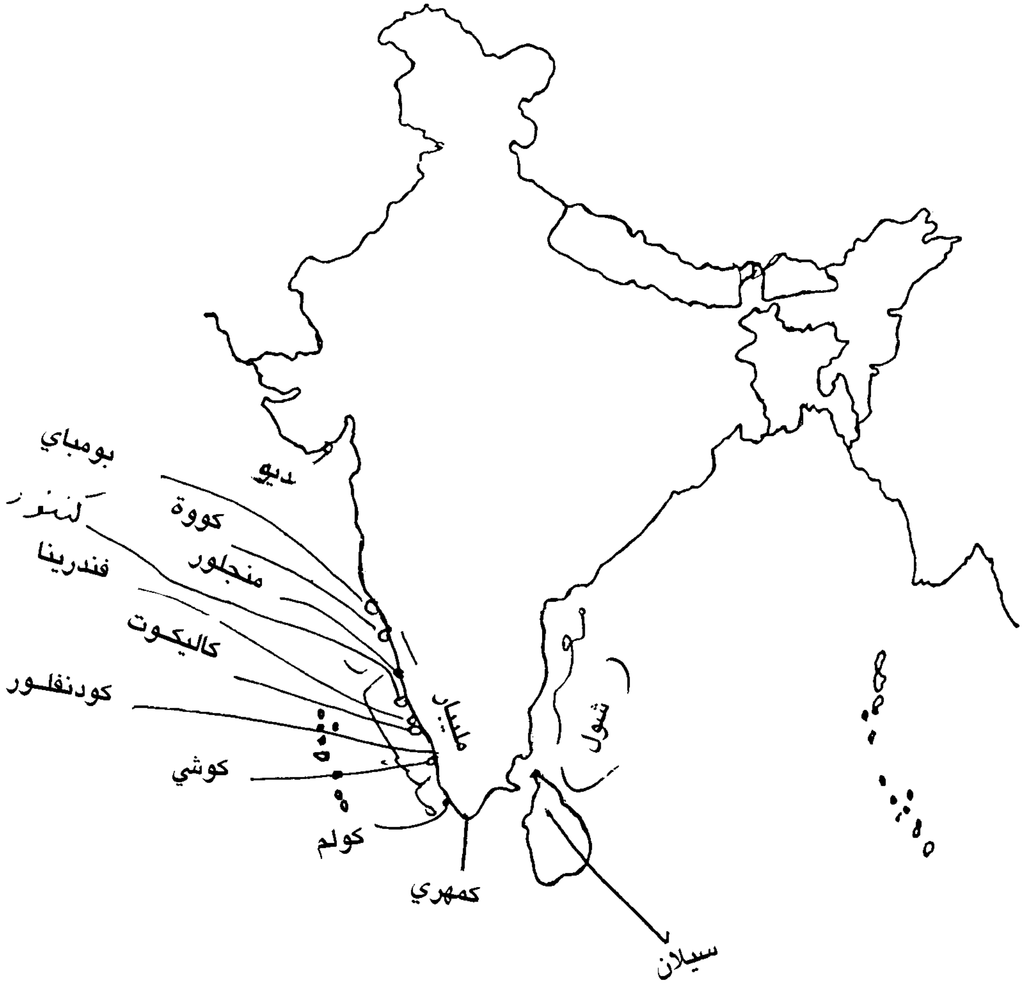
في ساحل مليبار

من خلال مخطوط

تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين

اعداد : البروفيسور : عبدالعزيز المنقادى

هذا الكتاب يعد مصدرا هاما ان لم يكن وحيداً لظهور الاسلام في ساحل مليبار ولطوري المد والجزر اللذين مر بهما الاسلام هناك عبر القرون وللوقائع التي جرت بين المسلمين والبرتغاليين مدة ٨٥ عاما بين سنة ٩٠٤هـ الموافق ١٤٩٨م و٩٩٢هـ ١٥٨٣م في مليبار الساحل الغربي الجنوبي للهند وهي واقعة الان في ولاية كيرالا احدى ولايات جمهورية الهند .



خريطة ساحل مليبار

ومليبار هذه معروفة للبحارة العرب ومؤرخيهم فقد زارها أو كتب عنها عدد غير قليل منهم مثل سليمان التاجر ٨٥١م والبيروني ١٠٥١م والادريسي ١١٥٣م والقزويني ١٢٧٥م وأبو الفداء ١٣٧٥م ورشيد الدين ١٣٣٠م وعبدالرزاق ١٤٤٢م ، والرحالة المشهور المغربي ابن بطوطة قام برحلة واسعة لأرجاء كيرالا أثناء سفارته الى الصين من قبل السلطان محمد بن تغلت وسلط الضوء على حياة أبنائها الدينية والاجتماعية والاقتصادية ووصفها ، ببلاد الفلفل .

وقد جاء ذكر كاليكوت قصبة مليبار في قصيدة « الحاوية » لأحمد بن ماجد شيخ المعالمة وأمير البحر في القرن التاسع الهجري .

وكانت مليبار تنتج أنواعا كثيرة من التوابل والبضائع النادرة مثل الفلفل

الأسود والزنجبيل والقرنفل والصندل والساج والأخشاب لصناعة السفن والتجار من الصين وجزيرة العرب وايران وفينيقيا ، كانوا يرتادون شواطىء مليبار لشراء هذه السلع .

وأما العرب فقد لعبوا دورا رئيسيا منذ أقدم العصور في تبادل هذه البضائع الى الشرق والغرب .

والأدب العربي مرآة صادقة تتراءى فيها آثار هذه العلاقة التجارية المزدهرة فالفلفل الذي جاء في بيت من معلقة امرؤ القيس :

« ترى بحر الارآم في عرصاتها
وقيعانها كأنه حب فلفل »

ان لم يكن يدل على عالمية الأدب العربي فإنه يشير الى هذه العلاقة التجارية الكثيفة وما المهند والخطى اللتين يتغنى بهما القدامى من الشعراء الاسلاحين فتاكين هنديي الانتاج وخلف هذا ، التبادل التجاري آثارا ، خالدة في لغات الهند منها ، اللغة المليبارية أو مليالم واللغة العربية . وتسربت كثير من كلمات هذه اللغة الى اللغة العربية وعلى العكس أيضا ، فالفلفل والزنجبيل والصندل والقرنفل والكافور بعض الكلمات المليبارية الأصيلة المقتبسة الى اللغة العربية . وأما الكلمات العربية الدخيلة الى لغة مليالم فقد أحصي عددها عشرات مثل خط ، قرار ، دلال ، ضامن ، آفه ، مصيبة ، باقي .

وقد كان ظهور الاسلام نقطة تحول لهذه العلاقة التجارية القديمة ، فقد أثر الاسلام تأثيرا عميقا في مجتمع الساحل المليباري وغير مجرى تاريخه فقد كان هذا التغيير جذريا وثوريا .

والتجار العرب المسلمون من حضرموت وعمان والخليج العربي أسسوا مستعمرات عديدة في مختلف مرافىء مليبار مثل كولم وكودنفلور وكاليكوت وكننور وهيلى وهندرينا .

وقد لعبت هذه المستعمرات دورا خطيرا في امتداد الزحف الاسلامي لافي مليبار فقط بل في شرق آسيا كافة مثل ملايو وأندونيسيا وجريرة سيلان دخل الناس في دين الله أفواجا وتفاصيل هذه الأخبار نستعرضها حين يصل البحث الى ظهور الاسلام في مليبار .

ولم تزل نشاطات العرب والمسلمين الدينية والاجتماعية والاقتصادية في تقدم وازدهار حتى وصلتهم حملة البرتغاليين عام ١٤٩٨ في اليوم الثامن عشر من شهر مايو تحت قيادة فاسكو دي غاما وكانت مدينة كاليكوت عاصمة مليبار اذ ذاك أرسيت فيها ثلاث سماويات له ولسنا بصدد الفحص عن آراء المؤرخين حول من دل من المعالة غاما على الطريق الى الهند أهو أحمد بن ماجد أم هو رجل

هندي من كجرات ؟ وبالجملة ابتلى المسلمون ابتلاء عظيما بأيدي البرتغاليين وكانوا في الحقيقة سياط عذاب للمسلمين فأذاقوهم أنواع العذاب من قتل وتدمير وتشريد كما عبر عنها محمد بن عبدالعزيز الكاليكوتي الذي عاش في القرن الحادي عشر الهجري في أرجوزته المشهورة .

فتح المبين للسامري الذي يحب المسلمين

كم مسلم في حبسهم مقيدون
وأي محنة بها يعذبون
كم أيتموا بقتلهم ولدانا
كم أرملوا الاماء والنسوانا
كم من مراكب بنار أحرقوا
كم من سفائن بحر أغرقوا
كم صيروا من مسلم نصارى
حتى من السادات كالأسارى
ومنعوا المسلمين الطرقا
برا وبحرا لم يزالو فرقا
وهتكوا لحرمة النسوان
بين محارم وزوج عاني
وبقتل المسلم بالمنشار
وبعضهم بكلب ونار

واشتدت قبضة البرتغاليين على بحر العرب فشددوا الخناق على المسلمين والعرب ، منعوا من تسفير سفنهم الى موانىء جزيرة العرب مثل هرمز وجلفار وظفار وشحر وعدن وجدة وتعرضوا لحجاج بيت الله فلم يسمحوا لهم بالسفر الى مكة – أنظر تحفة المجاهدين للتفاصيل .

وقد أنجبت مليبار صفوة من العلماء البارزين وضعوا كتبا في العلوم الدينية واللسانية والتصوف والطب ولم يكن حظ مليبار من الشعر العربي أقل من هذه العلوم فقد نبغ منهم عدد من الشعراء المجيدين لا يشق لهم غبار في التعبير عن أغراضهم في القريض .

ومليبار وولاية كيرالا اليوم زاهرة بهذا التراث الثمين كتب عربية تعد بالمئات من كبير وصغير الحجم .

وقد أثرت المكتبة العربية العالمية وكثير منها مطبوع في الهند ولكنها اليوم في حالة غير محسودة يوشك أن تكون على حافة الانقراض ، واني أوجه انتباه الباحثين الى هذه الكنوز النادرة عسى أن تجد لها وليا ونصيرا .

مؤلف تحفة المجاهدين في أخبار البرتغاليين :

وممن أنجبت مليبار من العلماء البارزين الشيخ زين الدين بن أحمد بن زين الدين بن علي بن المعبري المليباري المتوفي سنة ٩٩١هـ سنة ١٥٨٣م وينتمي الشيخ إلى أسرة عريقة في العلم والمجد فقد كان جده زين الدين الأول عالما كبيرا وصاحب عدة مؤلفات في مختلف العلوم مع علو كعبه في الشعر أيضا ومن أبرز مؤلفاته

مرشد الطلاب وهداية الأذكياء . وكانت له مكاتبات مع سلاطين المسلمين خارج الهند وداخلها يوجه فيها نظرهم الى الخطر البرتغالي في البحر العربي .

وأما صاحبنا زين الدين الثاني فقد سافر الى مكة في طلب العلم وجاور بيت الله تقريبا عشر سنين وتتلمذ خلالها على كبار المشايخ في مكة المكرمة مثل ابن حجر الهيثمي وزكريا الأنصاري وغيرهما واشتغل بالتدريس والتأليف بعد رجوعه الى مليبار فألف فتح المعين في شرح قرة العيون . ويعد هذا الكتاب من أمهات الكتب في الفقه الشافعي وقد لقى من العلماء اعتناء عظيما فقد قام بشرحه والتعليق عليه غير واحد من الفقهاء في مصر فقد كتب له حاشية باسم اعانة الطالبين فقية مصري وهو مطبوع ببولاق وقد جاء في تقريظة لبعض العلماء .

« فتح المعين كتاب شأنه عجب
حوى من الفقه مالم يحوه كتب »

وكتابه الثاني تحفة المجاهدين في بعض اخبار البرتغاليين الذي نحن بصدده هو أجل مصنفاته الذي رفعه الى سماط المؤرخين البارزين لم يحظ مؤرخ هندي عاش في القرون الوسطى بما حظى به من الاهتمام من الباحثين المحدثين شرقا وغربا .

فنرى فيه مؤرخا نابغا ومحللا للوقائع التاريخية متحريا مقاييس النقد العلمي والحياد الكامل قلما يتحلى بهما الكتاب في تلك العصور وأما مقدرته اللغوية فيدل عليها أسلوبه السلس الخالي من السجع والمحسنات اللفظية التي كانت شائعة حينئذ .

ونسبته الى معبر فهي أن أسرته نزحت الى مليبار من شاطىء معبر وهو عند الجغرافيين Coromandal Coast نفس الساحل الذي يصفه احمد بن ماجد شيخ المعالمة بساحل شول في كتابه الحاوية بقوله :

« وكم رأيت في قطوط الشول
ونظمة والنثر والفصول »

(محاضرة الاستاذ ابراهيم خوري - الموسم الثقافي ١٩٨٨ - ١٩٨٩ بجامعة الامارات العربية المتحدة)

وأما رأي بعض الباحثين أن المعبر في اليمن فلا مسوغ له لاننا لانعرف بقعة بهذا الاسم في اليمن فنترك هذا الأمر الى اخواننا مؤرخي العرب لأن أهل مكة أعلم بشعابها .

ويسجل الشيخ زين الدين في هذا الكتاب سلسلة الاشتباكات والحروب التي جرت في القرن العاشر الهجري بين المسلمين والبرتغاليين في جدة وعدن وهرمز في بر العرب وكذلك سورت وكجرات ، وديور وكورفا في الساحل الغربي الشمالي للهند ومالاقا .

ولم يكتف الشيخ بدوره مؤرخا بل كان جنديا اذ باشر القتال ضد العدو في بعض هذه الوقائع مثل سنة العلماء في تلك الأيام وفي تلك الديار فقد شارك الشيخ عبدالعزيز بن علي المجرى وعدد من المشايخ مع ملك كاليكوت السامري . في فتح قلعة البرتغاليين في شاليات قرب كاليكوت كما يشير اليه محمد بن عبدالعزيز الكاليكوتي الذي عاش في القرن الحادي عشر الهجري في ارجوزته فتح المبين :

ومعهم المخدوم ذو الانفاق
عبدالعزيز المعبري الفناقي
وهكذا قاضي قضاة المسلمين
عبدالعزيز الكاليكوتي كالمعين

وأما الوقائع في بر العرب وجزر ملايو فلا ندري كيف وقف عليها المؤلف وما هي المصادر التي اعتمد عليها في تأريخها وتدوينها لأننا لانكاد نجد مصادر عربية ولاهندية موثوقة تشير الى هذه الحوادث فهذا يدل على أن الشيخ اخذ الاخبار عن هذه الوقائع من المجاهدين الملاحين والمعالمة الذين عاصرهم وشاهدهم أثناء رحلته في طلب العلم الى مكة وكذلك عند زيارتهم بنادر مليبار مثل كاليكوت وكنور اللتين يرتادونهما في المواسم وكذلك اتصاله الوثيق مع السامري الملك الهندوكي في كاليكوت وسلاطين كجرات وبيجابور الذين تقع اماراتهم في الساحل الغربي الهندي ربما ساعده للوقوف على الوثائق لهذه الحوادث . وقد أشاد المؤرخون في الغرب والهند بمصداقية الشيخ زين الدين المؤرخ وعمق نظره وقدرة تحليله للحوادث التاريخية وهم يعدونه المصدر الوحيد لكثير من الحوادث التاريخية التي جرت في البحر العربي في تلك الحقبة .

مكانة تحفة المجاهدين :

وقد اهتم المؤرخون كما قدمنا بهذا الكتاب اهتماما بالغا فقد ترجم الى كثير من اللغات الأوروبية مثل الانجليزية واللاتينية والفرنسية والاسبانية والبرتغالية والتشيكية فضلا عن اللغات الهندية العديدة مثل الهندية ومليالم واردو وكارناتاكا وتاميل ولم يلق مؤلف لمسلم هندي قديم من اهتمام الباحثين مثلما لاقى هذا الكتاب من نقد وشرح .

ولكن المؤرخين العرب شأنهم مع هذا الكتاب شأن غريب فهو مع كونه مكتوبا باللغة العربية لا نكاد نجد احدا منهم يعرفه (*) ولانجد مصدرا

(*) هذا المخطوط طبع بالعربية عدة طبعات وقد أشارت (الوثيقة) في اعدادها السابقة الى اقتباسات اقتبسها كتاب كتبوا ونشروا في (الوثيقة) عن نفس المخطوط (انظر الوثيقة العدد ١٢ من ٩٢ والعدد ١٤ من ٢٠٣)

الوثيقة

عربيا يشير اليه ولا الى مؤلفه اللهم الا بضع كلمات جاءت فى معجم المنجد فى قسم الاعلام عن الكتاب ومؤلفه فى عنوان مليبارى وهي لا تسمن ولا تغني من جوع . فى حين أن أكثر من خمس مائة مؤلف تاريخى أجنبى نقل من كتابنا هذا وكذلك لانجد مكتبة عربية ولا خزانة لوثائق غربية حوت هذا الكتاب رغم تكاثرها وتضخمها فى الاقطار العربية شرقا وغربا وانى ما أردت بمشاركتى بهذا البحث الا توجيه عناية الأفاضل المؤرخين العرب الى هذا الكتاب ، فهو مطبوع فى الهند فى ١٣٥٨ هـ ولكن ليس كتابا مستقلا بل متضمنا فى مجموعة من النصوص الادبية والتاريخية والدينية الاخرى وعنوان هذه المجموعة « جواهر الاشعار وغرائب الحكايات والاخبار » للمولوى عبد القادر الغضفرى مطبوعة ١٣٥٨ هـ وفرغ الشيخ زين الدين بن أحمد من اتمام الكتاب فى ٩٩٠ هـ نفس السنة التى انتقل فيها الى رحمته تعالى وجعلها تحفة لسلطان بيجابور على عادل شاه لأنه كان فى مقدمة حكام الهند الذين قاتلوا البرتغاليين .

خطة الكتاب :

لكتاب « تحفة المجاهدين فى بعض أخبار البرتغاليين » مقدمة وأربعة أقسام :

القسم الاول فى بعض أحكام الجهاد وثوابه والتحريض عليه .

القسم الثانى فى بدء ظهور الاسلام فى ديار مليبار .

القسم الثالث نبذة يسيرة عن عادات كفرة مليبار الغريبة .

القسم الرابع فى وصول الافرنج الى بلاد مليبار وبعض أفعالهم القبيحة .

وقد خصص المؤلف ثلثى الكتاب للقسم الرابع لأن غايته المنشودة بتأليفه سرد الفظائع للبرتغاليين وتحريض المسلمين للدفاع عن الدين والوطن ثم توجيه عناية سلاطين الممالك الاسلامية الى جرائم البرتغاليين والاستعانة بهم .

وهذا القسم موزع الى أربعة عشر فصلا :

١ ـ ابتداء وصولهم الى مليبار ثم حصول المخالفة بينهم وبين المسلمين والسامرى ومصالحتهم راعي كوشى وكنور وبناء قلعتهم فيها وفي كولم وأخذهم بندركووة .

٢ – في ذكر شيء من قبائح أفعالهم .

٣ – مصالحة السامري راعي كاليكوت اياهم وبناؤهم قلعتهم في كاليكوت .

٤ – في وقوع الخلاف بينهم وبين السامري وفتح قلعتهم .

٥ –في وقوع الصلح بينهم وبين السامري مرة ثانية وبناء قلعتهم في شاليات .

٦ – في صلح السامري مع الافرنج مرة ثالثة .

٧ – فيما فعل السلطان بهادر شاه بن مظفر الكجراتي مع اعطاء جملة من البنادرة الكبار لهم .

٨ – في وصول سليمان باشا وزير السلطان الأعظم سليمان شاه « العثماني » « الرومي » بن سليم شاه .

٩ – وقوع الصلح بين السامري والافرنج مرة رابعة .

١٠ – وقوع المخالفة بين السامري والافرنج .

١١ – مصالحة السامري والافرنج مرة خامسة .

١٢ – بسبب الاختلاف بين السامري والافرنج وخروج الاغربة لمحاربتهم .

١٣ – في فتح قلعة الشاليات .

١٤ – في بعض أحوالهم بعد فتحها وفي قصدهم الأعظم لتغيير دين الاسلام واذلال المسلمين .

ظهور الاسلام في مليبار :

الفتوحات الاسلامية في السند وشمال الهند بدأت في القرن الثاني الهجري بيد محمد بن القاسم الثقفي في ايام الوليد بن عبدالملك الأموي ، وكان السند ثغرا من ثغور الاسلام ثم تتابعت هذه الفتوحات وتوسعت المملكة عبر القرون وكان العرب والفرس والاتراك والافغان والمغول هم الذين حملوا لواء هذه الحملات الى الشمال وانتشر الدين الاسلامي هناك ونما بامتداد رقعات المملكة الاسلامية على يد الفاتحين .

أما في الساحل الميباري فقد دخله الاسلام سلما بفضل جهود العرب من سواحل عمان وحضرموت والخليج العربي ، وكان هؤلاء العرب تجارا يرتادون سواحل مليبار لشراء التوابل والأخشاب وغيرها من المنتجات كما بينا سبقا .

فقد دخل الاسلام المليبار سلما ثم بفضله وبفضل حامليه الذين كانوا مثالا حيا لآدابه السامية تصاعد هذا المد الاسلامي ونشأت عدة مراكز للعرب في سواحل مليبار واختلطوا بأبناء البلاد وتزوجوا من نسائهم ونشأ من هذه الزيجات جيل من المسلمين معروفين باسم « مابلا » واذا اصطبغ المسلمون في شمال الهند بالصبغة الفارسية فان مسلمي مليبار مصطبغون بالصبغة العربية في عاداتهم وأزيائهم وفنونهم ولغتهم . ومن الجدير بالذكر أن حكام مليبار كانوا متسامحين نحو المسلمين وكانوا يحبونهم ويجلونهم ويقطعون لهم البساتين والعقارات .

وقد اختلف الباحثون حول العصر الذي دخل الاسلام فيه مليبار فمنهم من يقول أنه في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهم من يقول أنه القرنين الهجريين الاولين .

والمؤلف يتجه المنحى الثاني

ولايجد المذهب الأول مقبولا أما في مليبار أو كيرالا فلكل من المذهبين أنصار بين المؤرخين ولكل حجج يجادلون بها .

ويليق بنا الاشارة اننا لانرى أي مصدر عربي أقدم من هذا الكتاب يلقي الضوء على دخول الاسلام الى مليبار ولكن كتابان قديمان في لغة مليالم باسم « كيرلول بات » « نشوء كيرالا » و « كيرالا بازاما » (قدم كيرالا) يحدثان عن اعتناق أكبر ملك لهم باسم شجرمان فيرمال – سامري – الاسلام في قديم الزمان .

الرعيل الأول من الدعاة الاسلاميين :

ويحدثنا المؤلف عن تاريخ ظهور الاسلام هكذا في مليبار :

القسم الثاني في بدء ظهور الاسلام في مليبار وذلك ان جمعا من اليهود والنصارى دخلوا بلدة من بلاد يقال لها كدنكلور وهي مسكن ملكها في مركب كبير بعيالهم وأطفالهم وطلبوا منهم الأراضي والبساتين والبيوت وتوطنوا فيها وبعد ذلك بسنتين وصل اليها جماعة من فقراء المسلمين معهم شيخ قاصدين زيارة قدم أبينا آدم عليه السلام بسيلان فلما سمع الملك بوصولهم طلبهم واضافهم وسألهم عن الأخبار فأخبره شيخهم بأمر نبينا محمد ﷺ وبدين الاسلام وبمعجزة انشقاق القمر فادخل الله سبحانه وتعالى حب الاسلام في قلبه ، صدق النبي ﷺ فآمن به ودخل في قلبه حب النبي ﷺ وأمر الشيخ أن يرجع هو وأصحابه اليه بعد زيارة قدم آدم عليه السلام ليخرج هو معهم ومنعه أن يحدث بهذا السر المليباريين ثم انهم سافروا الى سيلان ورجعوا اليه فامر الملك الشيخ بأن يهيىء مركب السفرة من غير أن يعلم به أحد وكان في البندر المذكور مراكب كثيرة للتجار الغرباء فقال الشيخ لصاحب مركب «أنا وجماعة من الفقراء يتوقعون أن يركبوا في مركبك» فرضي بذلك صاحب المركب ولما قرب وقت السفر نهى الملك أهل بيته ووزراءه أن يدخل أحد منهم عليه مدة سبعة أيام وعين في كل بلدة من بلدانه شخصا وكتب لكل كتابا مفصلا بتعيين الحدود حتى لا يتجاوز أحد عن حده الذي عينه والحكاية في ذلك مشهورة عند كفرة مليبار أيضا وكان ملكا متواليا في جميع مليبار وحده من الجنوب كمهري ومن الشمال كانجركوت ثم أن الملك ركب مع الشيخ والفقراء في المركب ليلا وسار المركب حتى وصل الى فندرينة فنزل فيها ولبث يوما وليلة ومنها سار المركب الى درمفتن ونزل فيها ولبث ثلاثة أيام ومنها سار المركب حتى وصل الى شجر ونزل فيها هو ومن معه وبعد مدة طويلة رافقه جماعة في

السفر الى مليبار لعمارة المساجد واظهار دين الاسلام فيها ثم ان الملك مرض واشتد مرضه فوصى اصحابه الذين رافقوه وهم شرف بن مالك واخوه من الأم مالك بن دينار وابن أخيه مالك بن حبيب بن مالك وغيرهم بأن لا يبطلوا سفر الهند بعد موته فقالوا لا نعرف موضعك ولا حد ولايتك وانما اردنا السفر صحبتك فتفكر الملك ساعة وكتب لهم ورقة بخط مليبار عين فيها مكانه وأقرباءه وأسماء ملوكها وأمرهم أن ينزلوا في كبد نكلور ودرمفتن أو فندرينه او كولم وقال لهم لا تخبروا شدة مرضي ولا بموتي ان مت احدا من المليباريين ثم انه توفي رحمه الله رحمة واسعة وبعد ذلك بسنين سافر شرف بن مالك ومالك بن دينار ومالك بن حبيب وزوجته قمرية وغيرهم مع الاولاد والاتباع الى مليبار في مركب فوصل الى كدنكلور ونزلوا فيها واعطوا ورقة الملك المتوفي الى الملك الذي فيها واخفوا خبر موته فلما قرأها وعلم مضمونها أعطاهم الأراضي والبساتين على مقتضى ما كتبه فاقاموا فيها وعمروا فيها مسجدا توطن فيها مالك بن دينار وأقام ابن اخيه مالك بن حبيب مقامه لبنائه المساجد في مليبار فخرج مالك بن حبيب الى كولم بما له وزوجته وبعض أولاده وعمر بها مسجدا ثم خرج منها بعدما خلى زوجته فيها الى «هيلى ماراوي» وعمر بها مسجدا ثم الى «پاكنور» وعمر بها مسجدا ثم رجع منها الى «منجلور» وعمر بها مسجدا وخرج الى كانجركوت وعمر بها مسجدا وخرج منها الى «هيلي ماراوي» وأقام بها ثلاثة أشهر ومنها الى جرفتن وعمر بها مسجدا ومنها الى «شاليات» وعمر بها مسجدا وقام بها مدة خمسة أشهر ومنها الى كدنكلور عند عمه مالك بن دينار ثم سافر منها الى المساجد المذكورة وصلى في كل مسجد منها ورجع الى كدنكلور شاكراً الله وحامداً له بظهور دين الاسلام في أرض ممتلئة كفرا ثم خرج مالك بن دينار وبعض اصحابه فانهم سافروا الى شحر وزاروا قبر الملك المتوفى فيها ثم سافر مالك الى خراسان وتوفي فيها هو وزوجته هذا خبر أول ظهور الاسلام في ديار مليبار واما تاريخه فلم يتحقق عندنا وغالب الظن انه كان بعد المائتين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية واما ما اشتهر عند مسلمي مليبار ان اسلام المذكور كان في زمن النبي ﷺ وتشرف بلقائه ورجع الى شحر قاصدا المليبار مع الجماعة المذكورين وتوفي فيها فلا يكاد يصح شيء منها والمشهور الآن بين الناس انه مدفون في ظفار لافي شحر وقبره مشهور هناك يتبرك به أهل الناحية يسمونه السامري وخبر غيبة الملك المذكور مشهور عند جميع أهل

مليبار المسلمين والكفرة إلا أن الكفرة يقولون عرج به الى فوق ويتوقعون نزوله ولذلك كانوا يهيئون في موضع كدنكلور قبقابا وماء ويسرجون فيه في ليلة معروفة عندهم ومشهور عندهم ايضا أنه قسم ولايته قرب سفره على أصحابه الا السامري الذي كان أول رعاة بندر كاليكوت فانه كان غائبا عند القسمة فلما حضر اعطاه سيفا وقال له اضرب بهذا وتملك فعمل بمقتضى قوله فتملك كاليكوت بعد زمان وسكن فيها المسلمون ووصل اليها التجار واصحاب الصنائع من أطراف شتى وكثرت التجارة فيها حتى كبرت وصارت مدينة عظيمة اجتمع فيها صنوف الناس من المسلمين والكفار وظهرت قوة السامري فيما بين رعاة مليبار ورعاتها كلها كفرة «انتهى» .

هذه هي قصة ظهور الاسلام في مليبار وهناك آراء واتجاهات للباحثين حول هوية ملك مليبار الذي اعتنق الاسلام وسافر الى مكة وعصره الذي عاش فيه فمنهم من ذهب مذهب الشيخ زين الدين الذي يحدده في القرن الثاني ومنهم من يدعى ان الملك المذكور عايش زمن النبوة وسافر الى الحجاز وتشرف بالصحبة ويرى ثالث أن دخول الملك سامري الى الاسلام وقع في القرن السادس الهجري وهناك من المتعصبين من ينكرون قصة دخول ملك مليباري من كان هو ومتى كان الى الاسلام البتة ولا حاجة الى الالتفات الى هذا القول لان منشأه المكابرة والاتجاهات السلبية . ومهما كانت هذه الاختلافات حول زمن دخول السامري الاسلام فليس فيه ما ينكر دخول الاسلام مليبار في وقت مبكر . اما في عصر النبوة أو عصر يليه نظرا الى شيوع الاسلام في سواحل جزيرة العرب في حياة نبينا محمد ﷺ واستمرار رحلات العرب الى شاطىء مليبار .

فلا يبعد ان يتلقى بعض الاهالي من هؤلاء العرب المسلمين الجدد مبادىء الدين الحنيف وانما الخلاف مداره حول اعتناق الملك الاسلام وزمنه .

وتجدر بي الاشارة الى ان في كيرالا مراجع أصيلة في اللغة المحلية مثل كيرالا اوليات (نشأة كيرالا) تخبر ان الملك السامري رأى انشقاق القمر وعلم من بعض المنجمين ظهور نبي في بر العرب وتحقق الخبر من بعض تجار العرب ثم سافر الى مكة واليه يشير قاضي محمد بن عبدالعزيز الكاليكوتي في فتح المبين الذي يحب السامري الذي اشرنا اليه غير مرة وكان معاصرا للمؤلف ومتأخرا لدى الوفاة . يقول القاضي :

وانما وقف هذا السامري
للحرب معه بين كل كافر

سرد دعـوة النبي المطهـر
لخاله يـوم انشقاق القمـر
لما رأى انشقاقها من بلدته
سـافر خفيـة الى زيـارتـه
حتى أتى الى النبي وآمنا
بـالله والنبي فصـار مؤمنا

والسامري المذكور في القصيدة لقب ملك كاليكوت في العهد القديم وكان مع تثبته بدينه أحب الاسلام والمسلمين وتعاون معهم لطرد الافرنج من مليبار والهند قاطبة ويبين القاضي محمد الكاليكوتي والشيخ زين الدين احمد في مؤلفيهما مع الاسهاب مواقفه الباسلة ضد اعداء الاسلام ومحاسنه العديدة للمسلمين والدوافع السياسية والاقتصادية والامنية التي حملت السامري لاتخاذ هذه السياسة نحو المسلمين .

البروفيسور
عبدالعزيز المنقادي
أستاذ زائر سابقا للدراسات الاسلامية
جامعة كاليكوت ـ الهند